مركز البيدر للدراسات والتخطيط
Al-Baidar Center For Studies And Planning

لماذا يهرب الأكراد العراقيون إلى أوروبا؟

كمال شوماني

ترجمة وتحرير مركز البيدر للدراسات والتخطيط

عن المركز

مركز البيدر للدراسات والتخطيط منظمة عراقية غير حكوميّة ،وغير ربحّية، تأسس سنة ٢٠١٥م، ومُسجل لدى دائرة المنظمات غير الحكومية في الامانة العامة لمجلس الوزراء.

ويسعى المركز للمساهمة في بناء الدولة، عن طريق طرح الرؤى والحلول العملية للمشاكل والتحديات الرئيسة التي تواجهها الدولة، وتطوير آليات إدارة القطاع العام، ورسم السياسات العامة ووضع الخطط الاستراتيجية، وذلك عن طريق الدراسات الرصينة المستندة على البيانات والمعلومات الموثقة، وعن طريق اللقاءات الدورية مع الجهات المعنية في الدولة والمنظمات الدولية ذات العلاقة. ويسعى المركز لدعم الاصلاحات الإقتصادية والتنمية المستدامة وتقديم المساعدة الفنية للقطاعين العام والخاص، كما يسعى المركز لدعم وتطوير القطاع الخاص، والنهوض به لتوفير فرص عمل للمواطنين عن طريق التدريب والتأهيل لعدد من الشباب، بما يقلل من اعتمادهم على المؤسسة الحكومية، ويساهم في دعم اقتصاد البلد والارتقاء به.

ويسعى ايضاً للمساهمة في بناء الانسان، باعتباره ثروة هذا الوطن، عن طريق تنظيم برامج لاعداد وتطوير الشباب الواعد، وعقد دورات لصناعة قيادات قادرة على طرح وتبني وتطبيق رؤى وخطط مستقبلية، تنهض بالفرد والمجتمع وتحافظ على هوية المجتمع العراقي المتميزة ومنظومته القيمية، القائمة على الالتزام بمكارم الاخلاق، والتحلي بالصفات الحميدة، ونبذ الفساد بانواعه كافة، ادارية ومالية وفكرية واخلاقية وغيرها.

ملاحظة:

الآراء الواردة في هذا المقال لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المركز، إنما تعبر فقط عن وجهة نظر كاتبها.

حقوق النشر محفوظة لمركز البيدر للدراسات والتخطيط

www.baidarcenter.org

info@baidarcenter.org

لماذا يهرب الأكراد العراقيون إلى أوروبا؟

كمال شوماني

«كانت هناك تهديدات على حياتي في إقليم كردستان العراق. لقد قامت عائلة المافيا الحاكمة بتجويع أمتنا على مدى الثلاثين عاماً الماضية، وكلما خرجنا إلى الشوارع للمطالبة بحقوقنا، يتم اعتقالنا وترهيبنا وضربنا»، هذا ما أفاد به أوميد أحمد، الشاعر والناشط الكردي الذي تقطعت به السبل على الحدود بين بولندا و بيلاروسيا، عندما سألته لماذا ترك أربيل.

لقد انتشر الأكراد في أربع دول في الشرق الأوسط (سوريا وإيران والعراق وتركيا) منذ انهيار الإمبراطورية العثمانية وحُرموا من إقامة دولتهم القومية. إن التقارير التي تتحدث عن فرار الأكراد من القمع والترهيب من جانب السلطات في هذه البلدان شائعة. ومع ذلك، فمنذ إنشاء إقليم كردستان العراق في عام ١٩٩١، في أعقاب الانتفاضة الكردية في مارس من نفس العام، وفرض منطقة حظر الطيران فوق شمال العراق، واجه الأكراد القمع والفساد داخلياً من السلطات الكردية في أربيل.

أدت الحرب والصراعات العرقية والطائفية والحكومات الفاسدة والاستبدادية في الشرق الأوسط بالإضافة إلى تغير المناخ إلى تأجيج أزمة الهجرة التي بلغ فيها تدفق اللاجئين إلى أوروبا ذروته في عام ٢٠١٥ بسبب الحرب السورية. لقد استخدمت الأنظمة الاستبدادية التي عوقبت وانتُقدت بشدة بسبب سجلها السيئ في مجال حقوق الإنسان، اللاجئين بشكل متهكم كأدوات لإرباك وزعزعة استقرار الاتحاد الأوروبي. لقد بدأ الأمر بتركيا، والآن يستغل دكتاتور بيلاروسيا ألكسندر لوكاشينكو وجود اللاجئين الضعفاء الذين يواجهون ظروفاً تهدد حياتهم على الحدود بين بولندا وبيلاروسيا.

يسعى لوكاشينكو باستخدام ورقة اللاجئين لتحقيق أحد هدفين. فهدفه الأساسي هو الضغط على الاتحاد الأوروبي لرفع العقوبات المفروضة على البلاد والتوصل إلى اتفاق بشأن إدارة اللاجئين، مثل تلك المتفق عليها مع تركيا. وإذا تعذر ذلك، يعتمد الديكتاتور على وجود المهاجرين

* صحفي ومحلل من إقليم كردستان العراق

على حدود أوروبا لزعزعة استقرار الاتحاد. إن لوكاشينكو يدرك تماماً بأن أحزاب اليمين المتطرف في بلدان الاتحاد الأوروبي سوف تسعى بكل حماس إلى تحقيق مصالحها القومية حين ترى أن اللاجئين من الدول التي تسكنها أغلبية مسلمة يرغبون في الإقامة في بلدانهم.

ومع ذلك، فإن الهجرة الجماعية للأكراد على غرار أوميد أحمد ليست قصة بسيطة عن الهجرة أو حتى عن الفرار من الظلم والفساد والترهيب والحكم الاستبدادي في المنطقة الكردية. إنها قصة فشل أوسع نطاقاً. إن فشل ما كان يوصف ذات يوم بأنه قصة نجاح إقليمية يعد خسارة للشرق الأوسط بالكامل. وكما هو الحال في بقية العراق والمنطقة ككل، فلقد فشل النموذج الكردي في حل القضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية العميقة من خلال مجرد التفكير والشعارات القومية.

بعد غزو العراق في عام ٢٠٠٣، كانت الولايات المتحدة وحلفاؤها في حاجة إلى تبرير لوجودهم المستمر هناك. فأتوا بفكرة «العراق الآخر»، التي تتلخص في كونها الجزء الكردي الأكثر استقراراً والأقل طائفية من العراق والذي سيصبح نموذجاً للشرق الأوسط. واحتضنته القيادة الكردية واستخدمت الدعم الدولي لتعزيز القوة وبناء إمبراطورياتهم الاقتصادية من خلال عائدات النفط. وقد جلب ذلك نوعاً من الاستقرار والازدهار الاقتصادي بفضل ارتفاع أسعار النفط في ذلك الوقت. بيد أن نظاماً فاسداً وفاشياً وسلطوياً قد أخذ يترسخ، وهو ما تجاهله الغرب ولم يستطع الشعب محاربته.

أصبحت «حكومة إقليم كردستان» معياراً اقتصادياً يقاس عليه بقية العراق. فالقيادة الكردية، وخاصة الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة مسعود برزاني، روجت لفكرة «تطبيق نموذج دبي» لأربيل. ولكن وراء هذه الدعاية كان المجتمع الكردي يتداعى حيث انقسم إلى طبقتين من الطبقات الاجتماعية الاقتصادية: إحداهما مكونة من النخب السياسية ورعاتها وسماسرتها، والثانية تتألف من الكتل الجماهيرية.

وقامت الأقلية التي تسيطر على السلطة ببناء القرى بالقرب من المدن، مستغلة المنافع والأموال العامة. حيث تعيش العائلات الغنية والفئات السياسية، بما في ذلك كبار القادة الأكراد، في هذه المناطق، بمعزل عن المدينة. وتعيش عائلة برزاني على سبيل المثال في منطقة سياحية سابقة تسمى ساري راش حيث كان قصر الدكتاتور العراقي السابق صدام حسين. وهذه المنطقة معزولة الآن، ولا يسمح لأحد بالإقامة فيها أو زيارتها. وتعيش عائلة طالباني في قرية على قمة تل تدعى داباشان في مدينة السليمانية، وهي أيضاً معزولة عن المدينة. ويعيش الدبلوماسيون والمغتربون في

مجتمعات مغلقة في وسط المدن تفصلهم عن الأحياء التي يسكنها الفقراء المدقعين والتي لا يمكن السير فيها في فصل الشتاء بسبب الوحل، وفي فصل الصيف لا يستطيع الأطفال النوم بسبب الحر وعدم إمكانية الحصول على مكيفات الهواء . وهذه القرى الكردية، التي كانت ذات يوم مصدراً للفخر باعتبارها موقعاً للزراعة، أصابها التراجع والتدهور. فبدون الحصول على الخدمات في الأحياء الغنية، يسعى الفقراء إلى مستقبل أفضل حيث يعاملون على قدم المساواة ويحظون بفرص العيش الكريم.

فأبناء علية القوم من النخب الكردية لا يلتحقون بالمدارس والجامعات العامة. فقد بنت هذه النخب جامعات خاصة بالأموال العامة، وخاصة من خلال صناعة النفط، والتي أصبحت في وقت لاحق ملكية خاصة. بالنسبة للمؤسسات البارزة كجامعة كردستان «هيولر» يمتلكها رئيس إقليم كردستان، نيجيرفان بارزاني؛ وجامعة كردستان الأمريكية في دهوك يمتلكها مسرور بارزاني؛ و الجامعة الأمريكية في العراق، تأسست في السليمانية من قبل الرئيس العراقي برهم صالح.

الاتحاد الوطني الكردستاني، على الرغم من إدعائه بأنه حزب ديمقراطي اشتراكي، فانه يخدم مصالح النخبة فقط. وقد قام كوسرت رسول علي، زعيم المجلس السياسي الأعلى للاتحاد الوطني الكردستاني، ببناء أكبر مستشفى خاص في كردستان . في البداية، كان المستشفى يعالج الأغنياء والفقراء على حد سواء، ولكن بمجرد افتتاحه، تمت خصخصته بموجب خطة أفادت الحزبين الحاكمين وعائلاتهما.

واليوم، تتشابك الأنظمة السياسية والاقتصادية، وكل منها يخدم مصالح الآخر. فالنظام الاقتصادي يخضع لمصالح سياسية، والنظام السياسي يهيمن عليه الحزب ونظام العائلة الحاكمة. في ظل هذه الظروف، لن يتسنى تحقيق أي إصلاح أو نمو. حيث لم يكن الازدهار في إقليم كردستان راجعاً إلى إستراتيجية اقتصادية أو زعامة مثالية. وبدلاً من ذلك، كان يعتمد على تدفق الأموال من بغداد والولايات المتحدة والمجتمع الدولي.

حدث هذا لسبب بسيط عندما عاد ما يسمى بالثوار الأكراد إلى إقليم كردستان بعد عام ١٩٩١، وأقاموا السلطة وأصبحوا من أصحاب المليارات. بل إنهم دمروا المؤسسات القليلة التي أُنشئت في ظل الدكتاتورية السابقة التي خدمت كردستان. ولم تكن طموحات القوميين الأكراد سوى رغبة في التحرر من الدكتاتورية السابقة، ولم يكن لدى القوميين الأكراد الذين وصلوا إلى السلطة الكثير لتقديمه للأمة من حيث الديمقراطية والحقوق المدنية وسيادة القانون. أنشأ الحزب

الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني بيروقراطية بدائية، إقطاعية في البنية، فاشية في الممارسة العملية. ولن تنشأ الأنظمة الديمقراطية بواسطة إقطاعيين مستبدين يفرضون أنظمة سلطوية. فالديمقراطية تحتاج إلى ديمقراطيين حقيقيين يطبقون مبادئ سيادة القانون والعدالة وحرية التعبير والانتخابات الحرة والنزيهة.

إن إخفاقات الحكومات القومية في المنطقة واضحة للعيان، ولقد أظهر لنا الربيع العربي كيف أن الشباب في الشرق الأوسط، بعد أعوام من الحكم القمعي غير الديمقراطي، كانوا يتمتعون بالقدر الكافي من السلطة. ومع ذلك، لجأت قيادة «حكومة إقليم كردستان»، ولاسيما «الحزب الديمقراطي الكردستاني»، إلى إزكاء المشاعر القومية بدلاً من محاولة معالجة أزمات اقتصادية وسياسية كبيرة وعاجلة. وفي عام ٢٠١٧، سعى الحزب إلى إجراء استفتاء لإقامة دولة كردية مستقلة. لم يحقق الاستفتاء، غير القانوني وغير الحر، أيّاً من أهداف الحزب الديمقراطي الكردستاني، وأصيب الشباب الأكراد بخيبة أمل بعدما شاهدوا زعيماً كردياً يقامر بمنجزات السنوات المئة الماضية لمصالحه السياسية الخاصة.

لقد احتكرت عائلتا البارزاني و طالباني، موارد المنطقة، وقمع المعارضة للحفاظ على سلطاتها. وفي عام ٢٠١٩، قامت مجموعة من الموظفين العموميين في محافظة دهوك بمظاهرة في الشوارع للمطالبة بدفع رواتبهم الشهرية في حينها وبالكامل، وهو مطلب لم يتحقق منذ عام ٢٠١٤. فقد استخدمت قوات الأمن التابعة للحزب الديمقراطي الكردستاني العنف لتفريق المتظاهرين، وتم اعتقال ٨٠ ناشطاً وصحفياً، بتهمة التجسس «للقائهم دبلوماسيين أميركيين وألمان في أربيل»، حيث ناقشوا الافتقار إلى الحقوق السياسية والاقتصادية والمدنية. وتستمر المحاكمات، كما أدين البعض.

وفي وضع كهذا، فلا عجب أن يقرر الناس الفرار من البلاد. ولهذا السبب، اختار أشخاص من أمثال أوميد أحمد شرب مياه ملوثة ليوم واحد، وتحمل التعذيب على أيدي الحراس، والجوع، والبرد في غابات بيلاروسيا»؛ فهو يريد أن يصل إلى وجهة حيث تحترم فيه حقوق الإنسان، وحيث يمكن للأمل أن يوجد.

في الأيام الأخيرة على مواقع التواصل الاجتماعي، يستشهد الأكراد بالراحل شيركو بيكاس، الذي ربما يكون واحداً من أعظم الشعراء الأكراد المعاصرين. فقد استولى عمله على الوعي الوطني للأكراد ويتحدث عن قوة المقاومة.إنّ قصيدة بيكاس «الآن الفتاة هي وطني،» بالتزامن مع اللحظة

السياسية الحالية، تحمل معنى جديداً :

لا أريد شيئاً من الوطن يعطيني

أكثر من قطعة خبز و

قليلاً من الأمان و

وقليلاً من المال في جيبي و

حفنة من أشعة الشمس اللطيفة

و مطر الحب و

نافذة مفتوحة على الحرية والحب

ما أردت منها

قد حرمتني منه

لذا في منتصف الليل

كسرت بابها وخرجت

لقد تركتها إلى الأبد!

المصدر:

https://newlinesmag.com/reportage/why-are-iraqi-kurds-fleeing-to-europe/